

كِتَابُ الْحَقِّ الصَّرِيحِ فِي لَاهُوتِ الْمَسِيحِ

The Explicit Truth on the Divinity of Christ

القِسِّ يَسَّى مَنْصُورِ

Pastor Yessy Mansour

www.muhammadanism.org

December 22, 2009

Arabic

كِتَابُ الحق الصريح في لاهوت المسيح

«فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد
لي» (يوحنا ٥ : ٣٩)
«وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الفاسقون» (سورة المائدة: ٥٠)

للمسلمين والمسيحيين

بقلم القس يسى منصور باسيوط
مؤلف كتاب «النصرة العجيبة على آفة الشبيبة»

صدر من مطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ ٣٧ بمصر
طبعة أولى سنة ١٩٢٢

«لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهياً
قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (التوراة)

«قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه طوبى لجميع
المتكلمين عليه» (الزبور)

«وبالاجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى
لملائكة، كرز به بين الامم، رفع في المجد» (الانجيل)

«إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم
وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين» (القرآن)

الفهرست

	المقدمة
يسوع المسيح هو اقنوم الهي	الفصل الأول
يسوع المسيح هو الله	الفصل الثاني
يسوع المسيح هو الرب	الفصل الثالث
يسوع المسيح هو ابن الله	الفصل الرابع
يسوع المسيح هو الأزلي	الفصل الخامس
يسوع المسيح هو الخالق	الفصل السادس
يسوع المسيح هو الحاضر في كل مكان	الفصل السابع
يسوع المسيح هو العليم بكل شيء	الفصل الثامن
يسوع المسيح هو الموحى	الفصل التاسع
يسوع المسيح هو القدوس	الفصل العاشر
يسوع المسيح هو القدير	الفصل الحادي عشر
يسوع المسيح هو المعبود	الفصل الثاني عشر
يسوع المسيح هو المحيي	الفصل الثالث عشر
يسوع المسيح هو الديان	الفصل الرابع عشر
يسوع المسيح هو المخلص	الفصل الخامس عشر

مقدمة

كتاب الحق الصريح في لاهوت المسيح

الحمد لله الذي أنشأ الكائنات فدلت عليه، وأنزل كتابه القيم فهدي إليه، وكلمنا من وراء حجاب التجسد فقربنا إليه (أما بعد) فأقول بروح الاخاء العام، والاخلاص التام:

لا يخفى على فطنة القارئ اللبيب أن كثيرين من أدباء المسلمين ومفكرهم أصبحوا الآن مستعدين لقبول الكتاب المقدس من بدء التكوين إلى ختام الرؤيا كشيء موثوق بصحة اسناده إلى مصدره الأعلى بعد أن كان الكتاب المقدس منذ عشرين سنة خلّت غير موثوق على الإطلاق في نظر جميعهم من العالم إلى الجاهل

واننا نرحب بهذا الانقلاب الفكري العظيم كل الترحيب كما أننا نرحب بكل كتاب أو نبذة تؤلف منهم للبحث في «ماذا يقول الكتاب المقدس؟» ولو كان حضرات الكتاب المسلمين يستنتجون من الإنجيل غير ما نستنتجه نحن

وعلى هذا المبدأ الشريف فقد أصبحنا متفقين جميعاً على ضرورة امعان النظر في ما يقول الكتاب المقدس في ذاتية سيدنا يسوع المسيح وهل هو إنسان اعتيادي أم استثنائي خارق للعادة أم هو فوق ذلك؟

وبما أننا قد اتفقنا على ما تقدم فقد حق لنا أن نرشد الكاتب أو الباحث وندعوه باسم محبة الله أن يدقق في النصوص وفي معانيها ويقتلها بحثاً وتنقيباً وأن يجتنب التسرع في الحكم في أمر يتعلق بالأبدية اللانهائية لها. ونعني بذلك أن حكمه النهائي يكون شيئاً فعلياً مؤثراً في حياته العملية. وعلى هذا فما عليه الا أن يتروى في البحث ويهتم بالتفتيش على الحقيقة بكل وسيلة وعناية وأن يغربلها بغربال الاستقراء ويزنها بميزان الانصاف ليصل إليها من السبيل المستقيم

* * *

على اننا إذا رجعنا القهقرى مع الذين ما زالوا معترضين وسلمنا جدلاً (فقط) بأن العهد الجديد المنتشر في كل أنحاء العالم ليس هو الإنجيل الأصلي الصادر من الله ففي تلك الحالة المستحيلة الاحتمال نسأل هذا السؤال ألا وهو: كيف يعلل أولئك المعترضون تأثير حياة السيد المسيح في رسله وتلاميذه واتباعه ليس في زمن وجوده معهم على ظهر هذه الأرض فقط بل وبعد موته وقيامته المجيدة وصعوده الرباني بمدة طويلة؟

اننا لم نذكر على ما قرأنا وما سمعنا في حين من الأحيان أو في قطر من أقطار العالم ان أحداً من البشر ارتاب في اخلاص كتبة العهد الجديد وحسن نياتهم ونبالة مقاصدهم لأنهم كما قال الله «عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النِّجَاةَ... وآخرون (منهم) تجربوا من هزء وجلد ثم في قيود أيضاً وحبس. رُجِمُوا نُشِرُوا جُرِبُوا مَاتُوا قَتِّلُوا بِالسَّيْفِ... تائهين في براري وجبال ومغائر وشقوق الأرض. الخ» (عب ١١) وكل ذلك لأنهم ظلوا ثابتين على الحق بلا تزعزع منادين بالمسيح معترفين به جهراً مصلين إليه سراً وعلناً. فماذا كانوا يظنون في المسيح؟ من هو؟ وماذا تظن فيه أنت؟ نعم يوجد من يدرس هذه الحقائق فيؤمن بالمسيح أولاً ثم يقبل العهد الجديد لكونه إنجيل المسيح. ثم يوجد أيضاً حزب آخر ممن درسوا الإنجيل فقبلوه ككتاب الله فاضطروا أن يقبلوا كل ما قيل فيه عن المسيح

وأنت يا أيها الأخ المسلم العزيز ان لم تكن من الحزب الأول فهل أنت من الحزب الثاني؟ أي انك تقبل أقوال الكتاب فتؤمن بما يقول الكتاب المقدس عن صاحبه وسيده؟ اني أرجو لك كل سعادة في الدارين

الفصل الأول

يسوع المسيح هو اقنوم الهي

لدى النظر إلى الكون العجيب الذي نحن فيه، والتأمل في المصنوعات التي ازدان بها، ندرك بدهشة إن إلهاً حكيماً قوياً حياً قد أبدعه بقوته الباهرة، وكلاًه بعين عنايته الساهرة، ونستنتج بسهولة انه من الممكنات المنتظرة ان إلهاً كهذا وضع نفسه في نسبة خالق لخليقته يعلن نفسه بالوحي للخلائق العاقلة، ويرشدهم إلى إرادته الطاهرة، والكتاب المقدس الذي قد تأيد صدقه بالأدلة العديدة الداخلية والخارجية هو كتاب وحيه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

﴿الوحدانية﴾

وهذا الكتاب يعلمنا أن الله تعالى واحد أحد فرد صمد ليس غيره إله ولا يُعْبَدُ سواه وذلك واضح من الآيات الكثيرة التالية التي نوردها هنا لقوم يتهمونا بالاشراك وهم يجهلون: -

«اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦ : ٤)

«لرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد» (مت ٤ : ١٠)

«ان الله واحد وليس آخر سواه» (مر ١٢ : ٣٢)

«هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه رب الجنود. أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري»

(اش ٤٤ : ٦)

«أنا الرب وليس آخر لا إله سواي» (اش ٤٥ : ٤)

«أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدي باسط الأرض. من معي؟» (اش ٤٤ :

٢٤)

«التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأنني أنا الله وليس آخر» (اش ٤٥ : ٤)

«أنت تؤمن ان الله واحد حسناً تفعل» (يع ٢ : ١٩)

«فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الاله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه» (تث ٤ : ٣٦)

«نعلم ان ليس وثن في العالم وان ليس اله آخر الا واحداً» (١ كو ٨ : ٤)

﴿التعدد في الوجدانية﴾

الا ان الكلمة العبرانية المترجمة «واحد» تدل على وجدانية مركبة لا وجدانية بسيطة كما يقول العارفون باللغة العبرية التي جاءت بها التوراة. فيوجد في الوجدانية تعدد - فمثلاً جسد الإنسان واحد لكن تتعدد اعضاؤه. والشعب واحد لكن تتعدد أفراده. وأيضاً الله تعالى واحد في الجوهر لكنه مثلث في الأقانيم. فهو ثلاثة أقانيم في جوهر واحد. فرد لا في جوهره واحد نوعي أو جنسي. واعلم ان التعدد في الأقانيم لا يلحق الجوهر ولا يستلزم انقسامه أو انفصاله لأن جوهر الله غير مادي بل هو روعي والروح لا يقبل الانقسام مطلقاً. ولكل أقنوم جوهر اللاهوت الواحد. نعم ان الله ليس كمثل شئء ولكننا نقول من باب التقريب فقط: مثلاً أعضاء الجسد كثيرة ولكن للجسد مع ذلك وحدة ولكل عضو عمل خاص ولكن لكل عضو ملء جوهر الروح الواحد

ولكنه من الصعب ان نحاول فهم هذا الأمر العظيم بعقولنا القاصرة كما قال الدكتور توري «لأن الله روح والاعداد هي مبدئياً من خصائص العالم الطبيعي فتعترضنا صعوبة إذا حاولنا تصور كائن روعي بصور الفكر الطبيعي. وأيضاً: الله غير محدود ونحن محدودون وهو تعالى يسكن في نور لا يدنى منه ومحاولتنا شرح وجدانية الله المثالثة بشرح فلسفي هي محاولة وضع حقائق الغير محدود في صور وهيئات فكر محدود» فلذلك ما علينا إلا قبول ما أعلنه عن نفسه في كتابه المبارك

﴿اقتباسات كتابية في الثالوث الأقدس﴾

فقد ورد اسم الله في اللغة الأصلية العبرانية بصيغة الجمع في أول جملة من الكتاب المقدس وفي نحو ٢٥٠٠ موضع آخر وهذا دليل عظيم على الثالوث الأقدس كما أنك تجد ذكر الأقانيم الثلاثة أو الإشارة إليهم في الآيات الكثيرة التالية: -

«فقال الله نصنع إنساناً على صورتنا كشبهنا» (تك ١ : ٢٧)

«فقال الرب الاله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر» (تك ٣ : ٢٢)

«فقال الرب هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض» (تك

١١ : ٥ و٧)

ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا» (اش ٦ : ٨)

«فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة

هم واحد» (١ يو ٥ : ٢٧)

«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨ :

١٩)

«واما أنتم أيها الاحباء فابنوا أنفسكم على ايمانكم الأقدس مصليين في الروح القدس

واحفظوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية» (يه: ٢٠

و٢١)

«والآن السيد الرب ارسلني وروحه» (اش ٤٨ : ١٦)

«وأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع

أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل» (١ كو ١٢ : ٤ - ٦)

«نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين» (٢ كور

١٣ : ١٤)

فهلا نقبل ما أعلنه الله عن نفسه في هذه الآيات البيّنات وفي عشرات غيرها مما لم نذكره هنا حباً بالاختصار؟ أليس هو تعالى أدري بذاته منا نحن الذين من امس ولا نعلم شيئاً حتى من الماديات المرئيات التي أمامنا وأيامنا على الأرض كظل؟

﴿التعدد في الوحدة عند الإسلام﴾

وان كنتم يا معاشر الأخوة المسلمين تسلّمون بتعدد الصفات الالهية مع وحدة الذات فهلا يسهل عليكم التسليم بتعدد الأقانيم مع وحدة الجوهر أيضاً؟ وان كنتم تسلمون ان المحبة من صفاته تعالى وطبعاً صفاته جل وعلا كائنة به أزلياً قبل كون العالم فهل لا يستلزم ذلك تعدد الأقانيم لتبادل المحبة؟

﴿أمثلة من الطبيعة في التثليث﴾

وان كنا نرى في الأمور المنظورة تثليثاً في توحيد وتوحيداً في تثليث فهل نعد ذلك شيئاً غير معقول ان اخبرنا به تعالى عن ذاته العلية؟ فالنار تحتوي على ثلاثة أشياء: الحرارة والنور واللهيب. وان كانت هذه الثلاثة تختلف عن بعضها الا انها نار واحدة. وان في الإنسان نفساً وجسداً وروحاً (١ تس ٥: ٢٣) ولكن هذه الثلاثة العناصر لا تجعله ثلاثة أناس ولا تغير وحدة ذاتيته بل هو ذات واحدة. والعقل مخيلة وادراك وحافظة ولكنه واحد. وان كانت هذه لا تطابق تماماً ما نحن بصددده وهذا حق لانه تعالى لا يشبهه الا ان هذين المثليين يدلان على حقيقة التعدد في الوحدة والوحدة في التعدد. ومتى عرفنا هذه الحقيقة تثبت معنا ان المسيح اقنوم إلهي أي انه الله كما سيأتي

﴿سر التجسد﴾

وان قلت لي يا أيها الأخ: «كيف يكون المسيح أقنوماً إلهياً وهو إنسان كان يأكل الطعام مثلنا؟ أجبته! ان الأَقنوم الالهي قد تأنس لأجل خلاصنا وهذا سر عظيم أعلنه لنا الكتاب المقدس بقوله عن المسيح «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد... واذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٦ - ٨)

فقد تجلى اللاهوت في الناسوت وحل فيه حلوله في عليقة موسى كما ورد في سورة طه «اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتتها نودي يا موسى اني أنا ربك»

وقد حل اللاهوت في الناسوت حلولاً كاملاً من غير حصر كما يحل النور في الزجاج ولا ينحصر فيه «الله نور السموات والأرض مثلاً نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري» (سورة النور)

وقد جاء في الإنجيل «ان الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه» (عب ١: ١ و ٢) وهذا يوافق ما جاء في سورة الشورى: «وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء» فالله تعالى غير منظور لا يُرى ولن يُرى ولذلك فقد ظهر محتجباً في الجسد واعلن لنا سر مشيئته وتمم في حجاب جسده طريقة الفداء.

الفصل الثاني

﴿يسوع المسيح هو الله﴾

تساوي الأقانيم في الجوهر

دعي المسيح في الكتاب المقدس «الله» بصريح العبارة مراراً كثيرة أنه أحد الأقانيم الثلاثة وله جوهر اللاهوت. فان لاهوت أحد الأقانيم لا تنفي اللاهوت على الأَقْنُوميين الآخرين. لأن للثلاثة لاهوتاً واحداً فالآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله. ونسبة اللاهوت للثلاثة لا تستدعي ثلاثة آلهة لأن اللاهوت واحد لا تعدد في جوهره البتة

﴿الاله المتأنس﴾

وبما أن المسيح له جوهر اللاهوت الواحد فهو الله وانما ظهر في الناسوت لأجل خلاصنا كما تصرح الآيات التالية: -

«هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (مت ١:

٢٣)

«وبالاجماع عظيم هو سر التقوى. الله ظهر في الجسد» (١ تي ١ : ١١)

«لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً

قديراً اباً أبدياً رئيس السلام» (اش ٩ : ٦)

«الذي هو صورة الله الغير منظور» (كو ١ : ١٥)

«فان فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢ : ٩)

«في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً

وحل بيننا» (يو ١ : ١ و ١٤)

«احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا رعية
الله التي اقتناها بدمه» (اع ٢٠ : ٢٨)

«كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك احببت البر وأبغضت
الاثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من شركائك» (عب ١ : ٨ و ٩)
«ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد» (رو
٩ : ٥)

«أجاب توما وقال له ربي والهي» (يو ٢٠ : ٢٨)

«ويرد (يوحنا المعمدان) كثيرين إلى الرب إلههم (أي إلى يسوع اله اسرائيل كما تدل
القربنة)» (لو ١ : ١٦)

«ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الاله الحق والحياة الأبدية» (١ يو ٥ :
٢٠)

فهذه الآيات كلها تثبت لاهوت المسيح بلا شك إذ تدعوه «الله» صريحاً

﴿طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت﴾

ولا يجوز لنا أن ننكر لاهوت المسيح من أجل الآيات الدالة على ناسوته ولا يجوز أن
ننكر ناسوته من أجل الآيات الدالة على لاهوته لأنه هو الإله الذي اتخذ انساناً. فالإنسان روح
في جسد وهو إنسان واحد ومع ذلك توجد خواص وصفات وأعمال تنسب للجسد دون الروح
(ككونه مادياً منظوراً ملموساً فانياً وما شاكل ذلك) وخواص واعمال تنسب للروح دون الجسد
(ككونها غير مادية ولا منظورة ولا ملموسة بل خالدة وما شاكل ذلك) والكل ينسب للإنسان
الواحد. فكذلك المسيح إله تام وانسان تام اقنوم واحد ومع ذلك توجد خواص وصفات وأعمال
تنسب للاهوت دون الناسوت في المسيح كالألزمية والحضور في كل مكان والقدرة على كل
شيء وغيرها. وتوجد خواص وأعمال تنسب للناسوت دون اللاهوت كالولادة والصلب والموت

والدفن وغيره. وكل ما ينسب للاهوت والناسوت معاً ينسب لاقنوم المسيح الواحد ذي الطبيعتين

﴿غيرة الكتاب ضد تأليه البشر﴾

واعلم ان الكتاب الذي قاوم الوثنية بكل غيرة ودعا الناس إلى عبادة الواحد القهار لهو الذي تجد الاعتراف بلاهوت المسيح متسرباً في كل صفحاته كتسرب الدم في شرايين الجسم. ففي التوراة فضّل دانيال النبي ان يطرح في جب الأسود من أن يقدم صلاة لداريوس ملك الماديين (دا ٦ : ١٣) وفي الإنجيل ضرب ملاك الرب هيرودس ملك اليهودية عند ما أجابه الصوريون قائلين هذا صوت إله لا صوت إنسان ولم يعط المجد لله فصار يأكله الدود ومات (ع ١٢ : ٢١ و ٢٢) وورد في الإنجيل أيضاً ان بولس الرسول شفى أعرج في مدينة لسترة فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم قائلين ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا... فأتى كاهن زفس الذي كان قدام المدينة بشيران واكليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسول ان بولس وبرنابا مزّقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (ع ١٤ : ٨ - ١٥)

فحاشا إذاً لكتاب مثل هذا يضرب على الوثنية بيد من حديد من أن يدعونا لتأليه البشر إنما هو يعلن لنا الأسرار الإلهية ويحمل إلينا البشائر السماوية مما يدل على أنه كتاب سماوي. فمن المخيف ان يرفض أخونا المسلم الايمان بالمسيح لأنه لا يرفض إنساناً بل الله ذاته وهذا أعظم شر يمكن للإنسان عمله ويستحق عليه أشد القصاص

الفصل الثالث

﴿يسوع المسيح هو الرب﴾

دُعي المسيح رباً في الإنجيل أكثر من ٤٠٠ مرة

ان هذه الحقيقة مقررة بوضوح في الكتب المقدسة. حتى انك لتجد عنوان الإنجيل الشريف مكتوباً هكذا: (العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح) وقد عملت بنفسى احصائية تقريبية فوجدت ان السيد المسيح دعي رباً في الإنجيل أكثر من أربعمئة مرة. وهذا دليل عظيم جداً على إعلان الوحي الصريح واعتراف المسيحية كافة بلاهوت المسيح. ومن العجيب ان كل الأسفار دعت يسوع المسيح رباً. ولم يخلُ سفر من أسفار الإنجيل من لفظة «رب» سواء اشارت إلى الله الآب أو المسيح يسوع أو الروح القدس، إلا رسالتي يوحنا الأولى والثالثة فقد استعملت فيهما كلمات أخرى للإشارة إلى الذات العلية مثل الله والإله ونحوهما. واما في غير هاتين الرسالتين فقد وردت كلمة «الرب» عن الله الآب والمسيح يسوع والروح القدس على حدٍ سواء. وانك لتجد في الجدول الآتي بيان ذلك: -

عدد مرات كلمة رب المدعو بها الروح القدس	عدد مرات كلمة رب المدعو بها المسيح يسوع	عدد مرات كلمة ربّ المدعو بها الله الآب	الأسفار المذكور فيها كلمة رب
٢	٧٦	٥٣	البشائر الأربع
	٦٨	٢٦	أعمال الرسل
	٢١٠	٥٧	رسائل بولس الأربع عشرة
	٣٨	٢٦	الرسائل الجامعة
	١١	١٠	الرؤيا
٢	٤٠٣	١٧٢	كل الإنجيل

﴿شهادة المسيح لنفسه واعترافات الكثيرين بربوبيته﴾

ولا يخفى على مطالعي الكتاب أن تعليم السيد المسيح يرمي إلى التضحية والتواضع ونكران الذات والعمل لله والأبدية ومع ذلك فقد حذر تلاميذه من أن يقبلوا الألقاب الدالة على الرفعة والسيادة التي اختص نفسه بها وحده فقال «أما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة» (مت ٢٣ : ٨) وقد أطاعه الرسل وقالوا للذين بشروهم: «فاننا لسنا نكرز بأنفسنا بل المسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً من أجل يسوع» (٢ كور ٤ : ٥) وقد كرز وشهد كثيرون وافر واعترف كثيرون وكتب ودون كثيرون بأن المسيح هو الرب

فالملاك السماوي عند ميلاد المسيح نادى الرعاة قائلاً: «انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو ٢ : ١١)

واليصابات امرأة زكريا عندما رأت مريم العذراء وهي حبلى بالمخلص نادتها قائلة: «من أين لي هذا أن تأتي ام ربي اليّ» (لو ١ : ٤٣)

والص الايمن قال للمسيح وهو على الصليب: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو ٢٣ : ٤٢)

وتوما عندما رآه قائماً من الأموات صرخ قائلاً: «ربي وإلهي» (يو ٢٠ : ٢٨) وبطرس كرز في قيصرية قائلاً: «الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل» (اع ١٠ : ٣٦)

وبولس كتب في رسائله قائلاً: «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب المجد الآب» (في ٢ : ١٠ و ١١)

ويوحنا اللاهوتي رآه في المجد فقال: «وعلى ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب» (رؤ ١٩ : ١٦)

وليس الإنجيل وحده هو الذي يصرح بذلك بل داود النبي في الزبور يدعو المسيح رباً قائلاً «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠ : ١)

وارميا النبي في التوراة يقول: «في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا» (ار ٢٣: ٦) أفبعد هذه النصوص الكثيرة الصريحة لا تدعو يسوع رباً وتجعل نفسك تحت سيادته؟

﴿يسوع المسيح عبد الله﴾

وان قلت لي كيف أدعوه رباً وقد جاء عنه عندنا في القرآن: «إن هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل؟» (سورة الزخرف) وأيضاً: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» (سورة النساء). أجتبك: مهلاً يا صاح فاننا نعتقد معكم في المسيح حسب التأنس والتجسد أنه عبد الله كقوله عنه في التوراة «هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جداً» (اش ٥٢: ١٣) وكما جاء في الإنجيل أنه «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد» (في ٢: ٦ - ٨) وجاء في الزبور «بذبيحة وتقدمة لم تسر. اذني فتحت محرقة وذبيحة خطية لم تطلب» (مز ٤٠: ٦) ويشير الزبور بقوله هذا إلى العادة التي في بني إسرائيل وهي أن العبد الإسرائيلي يخدم ست سنين وفي السابعة يطلق حراً مجاناً وان أحب العبد سيده وأبى أن يفارقه يأخذه سيده ويفتح اذنه ثاقباً إياها بمتقب في الباب علامة على أن هذا يبقى مؤبداً. فكذلك لما أخطأ جميع البشر وكل تقدماتهم وذبائحهم الحيوانية لم تسر الله في التكفير عن خطاياهم رأى النبي السيد المسيح بعيني النبوة متجسداً في صورة عبد وقائلاً: (اذني فتحت) أي صرت كعبد موسوم متطوع أخدم الله وأظهر كمالاته الإلهية ببذل جسدي كفارة لفداء البشر وأقوم بالأمر الذي لا يقوم به حيوان ولا إنسان ولا ملاك. وهكذا بواسطة خدمته بالموت عنا قد حررنا من الخطية ونتائجها وصار لنا فادياً ورباً: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الاحياء والأموات» (رو ١٤: ٩) فهو إذاً عبد حسب تجسده واتضاعه الإنساني ولكنه في الوقت نفسه رب حسب مجده لاهوته وعمله الفدائي. فيا ليتنا نسلم نفوسنا لمن فدانا واشترانا ونعترف به ونرضخ له قائلين مع الرسل الحواريين: «ليس أحد منا يعيش لذاته لأننا إن عشنا فللرب نعيش وان متنا فللرب نموت إن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو ١٤: ٧ و٨)

الفصل الرابع

﴿يسوع المسيح هو ابن الله﴾

البنوة ليست جسدية

هذا لقب كثير وروده عن المسيح في الكتب المقدسة ويحزننا أيها الأخوة أنكم تسيئون فهم مغزاه. فليس المسيح ابن الله بالمعنى الجسدي الطبيعي. تعالى الله علواً كبيراً عن هذا القول السخيف فانه جل شأنه روح لطيف لا جسم كثيف واننا معكم على وفاق تام في قول القرآن «وانه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً» (سورة الجن)

﴿معنى بنوة المسيح حسب الكتاب المقدس﴾

وبما أن البنوة لله جائزة في جميع الأديان المنسوبة إلى الله فاتقدم لشرح معناها حسبما جاء عندنا في الكتاب المقدس عن السيد المسيح. فقد دعي ابن الإنسان للدلالة على أنه إنسان له الطبيعة الناسوتية ودعي ابن الله للدلالة على أنه اله له الطبيعة اللاهوتية كقول الإنجيل «قال أيضاً ان الله ابوه معادلاً نفسه بالله» (يو: ٥: ١٧ و ١٨) فالبنوة هنا لا تدل على التولد الجنسي بل تدل على المعادلة بين الله والمسيح أي كلاهما ذا لاهوت واحد.

وقد استعملت أيضاً للتعبير عن العلاقة السرية والمحبة الفائقة الكائنة بينهما بالروح كقول يوحنا الرسول «تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الاب ومن الرب يسوع ابن الآب بالحق والمحبة» (٢ يو: ٢) وقول بولس الرسول «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو ١: ١٣)

وما أحسن ما قاله القس جردنر بهذا الصدد «ان الأبوة والبنوة في اللاهوت عبارة عن اعتبارات أدبية وعلاقات روحية ومن تلك العلاقات المحبة والاكرام والمناجاة المتبادلة والتبادل الكامل المبارك ووحدة الطبيعة والصفات والإرادة والاتفاق في العمل وتناسب الوظائف».

وقد دعي أيضاً ابن الله حسب الولادة بطريقة غير بشرية لأنه ولد بقوة روح الله وليس من زرع بشر كقول الكتاب لمريم العذراء «الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١ : ٣٥) ولأنه أيضاً قام من بين الأموات كبكر المفديين وباكورة الراقدين كقول بولس الرسول وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١ : ٤)

﴿بنوة المسيح خاصة﴾

وبما أن هذه المعاني المتضمنة في بنوة المسيح لله والدالة على لاهوته خاصة به وحده ولا يشاركه فيها أحد فقد دعي ابن الله الوحيد كما هو مذكور في الآيات التالية:

«الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يو ١ : ١٨)

«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣ : ١٦)

«ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الاب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١ : ١٤)

«الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد» (يو ٣ : ١٨)

فلا تمتعض أيها الأخ العزيز من قولنا «المسيح ابن الله» فانت تدعو الذين بلا مأوى أبناء السبيل وتدعو الطلبة أبناء العلم وتدعو الأهالي أبناء الوطن وما تدعو هؤلاء أبناء إلا مجازاً للدلالة على ما لهم من النسبة والصلة بينهم وبين السبيل والعلم والوطن فكذلك دعا الكتاب المسيح ابن الله مجازاً للدلالة على المحبة والمعادلة ووحدة الطبيعة والصفات الإلهية ونحوها. وهذه الدعوة حديثة قد وجدت للدلالة على الألقوم الثاني ولكن المدعو بها قديم أزلي أبدي.

﴿تبني البشر﴾

ونحن البشر يدعوننا الكتاب المقدس أبناء الله ولكن ليس بالمعنى الذي يدعى به السيد المسيح بل دعينا كذلك أولاً للدلالة على أنه مصدر وجودنا كقول أشعيا النبي «أنت يا رب أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك» (اش ٦٤ : ٨) وثانياً للدلالة على أنه صاحب العناية بنا كقوله تعالى «ربيت بنين ونشأتهم» (اش ١ : ٢) وثالثاً للدلالة على ما علينا من واجب الخوف والطاعة كقوله «الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فان كنت أنا أباً فأين كرامتي؟ وان كنت أنا سيدياً فأين هييتي قال لكم رب الجنود» (ملا ١ : ٦) ورابعاً للدلالة على ما حصلنا عليه من المحبة والسلام والتقرب إليه تعالى بواسطة الايمان بالفداء والصلح الذي ببسوع المسيح كقول الإنجيل «أنتم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع» (غل ٣ : ٢٦)

فبينما تجد البشر يدعون أبناء الله يُدعى المسيح ابنه الوحيد وبينما يدعى البشر أبناء الله باعتبار انهم من صنع يديه نجد المسيح يُدعى ابن الله باعتبار معادلته ومساواته بالآب. وبينما نجد البشر يدعون أبناء الله بواسطة الفداء نجد أن المسيح هو الذي صنع هذا الفداء «وهو الذي أعطانا سلطاناً أن نصير أولاد الله» (يو ١ : ١٢) فما أجلّ ذاتك وأمجد اسمك أيها المسيح.

الفصل الخامس

﴿يسوع المسيح هو الأزلي﴾

كل معلول حادث وله بداية في زمن. أما الله تعالى علة العلل الكائن الأسمى الواجب الوجود بذاته فهو بلا بداية ولا نهاية. وان يسوع المسيح باعتبار الناسوت له بداية. وهو حادث بالتجسد والولادة من مريم العذراء. وأما قبل تجسده فهو كائن باللاهوت منذ الأزل وإلى الأبد يكون - لا بداية له ولا نهاية.

﴿النصوص الكتابية عن أزلية المسيح﴾

وان هذه الحقيقة العظمى واضحة في الكتاب كالشمس في رابعة النهار كما تصرح الآيات التالية: -

«وأما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين رؤساء يهوذا فمَنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (في ٥ : ٢)

«فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمائرکم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩ : ١٤)

«منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه» (أش ٤٨ : ١٦)

«والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم»

(يو ١٧ : ٥)

«قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابرهيم أنا كائن» (يو ٨ : ٢٨)

«الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١ : ١٧)

«أنا هو الألف والياء الأول والآخر» (رؤ ١ : ١١)

«هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي» (يو ١ : ٣)

«ومنذ الأزل مسحت منذ أوائل الأرض» (ام ٨ : ٢٣)

«يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣ : ٨)

فمن ينعم النظر في هذه الآيات الواضحة يجدها برهاناً قاطعاً ودليلاً ساطعاً على أن المسيح قبل تجسده كائن منذ الأزل

﴿استنتاجات قرآنية للدلالة على أزلية المسيح﴾

وقد جاء في القرآن «إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين» سورة آل عمران وقد وردت دعوته كلمة الله أيضاً في الإنجيل «وهو متسريل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله» (رؤ ١٩ : ١٣) فان كان المسلم الكريم يسلم بأن كلام الله أزلي في اللوح المحفوظ فليس بعظيم عليه أن يسلم بأن شخص كلمة الله هو أزلي أيضاً

وقد دعي المسيح كلمة الله استعارة وتشبيهاً بالكلمة التي تفوه بها وقت التكلم فالكلمة هي أولاً اعلان المتكلم لأنها ترجمان أفكاره وتبيان مقاصده ودليل على سجاياه فكذلك المسيح هو إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه تعالى كقوله: «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يو ١ : ١٨) وثانياً الكلمة هي قوة المتكلم لأن إرادته تنفذ بتأثيرها كما جاء في الجامعة: «حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان» (جا ٨ : ٤) فكذلك المسيح هو قوة الله الذي به خلق العالم وخلص البشر (عب ١ : ٢ - ٤) وثالثاً الكلمة هي ذات وجود دائم ملازم للعاقل الناطق فكذلك المسيح موجود أزلياً مع الآب. فترى أيها الأخ المسلم أنه ليس عندنا فقط بل عندكم أيضاً اسم جليل من أسماء المسيح يدل على أزليته

الفصل السادس

﴿يسوع المسيح هو الخالق﴾

الخلق هو عمل الأقانيم الثلاثة

الخلق هو إبداع شيء من العدم. وأنا لنمتلئ عجباً واندهاشاً لدى تأملنا في كرتنا الأرضية وما نلاحظه فيها من الأسرار والعجائب. وأعجب من هذا ما نشاهده فوقنا من الكواكب الزاهية المنيرة التي هي عوالم عظيمة ذات أبعاد جسيمة وسنن متينة. وإن هذه كلها إلا صنُّع يد عامل قدير حكيم يد الله القادر على كل شيء. الله الواحد في الجوهر والمثلث في الأقانيم كقوله عند خلق الإنسان «قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١ : ٢٦) فلكل أقنوم ينسب عمل الخلق

فالآب خالق كقول الكتاب «صانع الأرض بقوته مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط السموات» (ار ١٠ : ١١)

والروح القدس خالق كقول الكتاب: «روح الله صنعني ونسمة التقدير احيتني» (أى ٣٣ : ٤) وأيضاً: «ترسل روحك فتخلق (المخلوقات) وتجدد وجه الأرض» (مز ١٠٤ : ٣٠)

والمسيح خالق كما ينص الكتاب في مواضع كثيرة سنذكرها بهذا الفصل

﴿شهادة القرآن﴾

وقد نص عن ذلك القرآن أيضاً إنما بطريقة من لا يعرف حقيقة التجسد فقيل: «تبارك الله أحسن الخالقين» ولم يذكر القرآن أحداً من الخالقين الا المسيح فقال «وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذني» سورة المائدة. فالمسلم والمسيحي إذاً على وفاق تام ان المسيح خالق عظيم ومبدع حكيم إنما كتاب التوراة والإنجيل: «الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» يبين سر ذلك ليس لأن المسيح مجرد إنسان نبي قد أتى

عمل الخلق بقوة الله المكتسبة بل لأنه هو هو الله الذي له قدرة الخلق كالأب والروح القدس
كقول المسيح نفسه: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥ : ١٧)

﴿شهادة الكتاب المقدس﴾

فيسوع المسيح هو الخالق وذلك مؤيد بالآيات الصريحة التالية:

«كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١ : ٣)

«كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم» (يو ١ : ١٠)

«فان فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان
عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق» (كو ١ : ١٦)

«وأنت يا رب (الإشارة للمسيح) في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك
هي تبيد ولكن أنت تبقى كلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن
تفنى» (عب ١ : ١٠ - ١٢)

(لنلاحظ أن تأسيس الأرض وعمل السموات في بدء الخليقة ليس معجزة يفعلها أحد
الأنبياء لأنهم لم يكونوا موجودين بعد ولمن يعملونها وكيف؟)

«لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه. لما رسم اسس الأرض كنت عنده صانعاً
وكنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه» (ام ٨ : ٢٩ و ٣٠)

«كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل
العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١ : ٢ و ٣)

«أنا يسوع أرسلت ملاكي لاشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس أنا أصل وذرية داود
كوكب الصبح المنير» (رؤ ٢٢ : ١٣ و ١٤)

(نلاحظ أن يسوع ذرية داود أي من صلبه حسب الجسد وأصل داود أي خالقه ومنشئه
حسب اصطلاح علم اللاهوت)

﴿عمل المسيح في العالم الروحي والأدبي﴾

واعلم أن الكتب المقدسة لا تصرح ان المسيح هو الخالق للعالم المادي فقط بل تصرح أيضاً أنه الخالق العظيم في العالم الأدبي والروحي فالخطاة الذين يتوبون عن خطاياهم ويؤمنون به انه مخلصهم الإلهي يجعلهم خليفة جديدة بنسبة وطبيعة جديدة ويكونون أناساً مقدسين لهم كل مبادئ الروح: «إذاً ان كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كور ٥ : ١٧)

الفصل السابع

﴿يسوع المسيح هو الحاضر في كل مكان﴾

الله روح غير محدود

كل الأشياء المادية تشغل حيزاً من الوجود ولها أقيسة وضعية. حتى الريح مع انها شيء غير منظور ولا ملموس ولكن لها حيز مكاني تغدو فيه وتروح. وكما أن النور يملأ المصباح الزجاجي ولكنه لا ينحصر فيه هكذا الله لأنه غير مادة فهو يملأ كل مكان ولا يحده مكان. وأن مثل النور لا ينطبق على الله تعالى كل الانطباق فالنور غير ملموس ولكن له امتداد إلى مسافة ما في الفضاء ولكن الله ليس له حدود مكانية ولا زمنية ولن نقدر أن ندرك ذلك. «هو ذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنيه لا يفحص» (أي ٣٦ : ٢٦) وكما قال صوفر النعماني «إلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي. هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري. أطول من الأرض طوله. وأعرض من البحر» (أي ١١ : ٧ - ٩)

﴿شهادة الكتاب عن حضور المسيح في كل مكان﴾

ونحن نقر حسب الكتب المقدسة أن المسيح بناسوته له حدود مكانية وأما بلاهوته فلا بل هو الحاضر في كل مكان وزمان والأدلة على ذلك هي :-

(أولاً) قول المسيح لتلاميذه وقت صعوده إلى السماء: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) فإذا لم يكن حاضراً في كل مكان وزمان فكيف يقول انه يكون مع الكارزين باسمه بين الأمم والقبائل والشعوب في كل مصر وعصر إلى انقضاء الدهر؟

(ثانياً) وقوله للمؤمنين به: «واقول لكم أيضاً إنه ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات. لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨ : ١٩ و ٢٠) فإذا لم يكن هو الحاضر في كل مكان وزمان فكيف يمكنه أن يكون وسط أية جماعة وبين كل جماعة تصلي باسمه على الأرض؟

(ثالثاً) قوله لنيقوديموس: «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو ٣ : ١٣) فالمسيح بينما هو على الأرض بجسده يقول إنه في السماء فكيف يملأ السماء وهو على الأرض إلا بلاهوته الذي لا يحده مكان ولا زمان.

(رابعاً) قول مرقس البشير عنه: «ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. وأما هم (أي الرسل) فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦ : ٢٠)

فالمسيح بعد ما صعد إلى السماء والرسل جالوا مبشرين بالكلمة في كل بلد وقطر كان المسيح نفسه معهم مؤيداً كرازتهم بعملهم المعجزات باسمه فهو الذي يملأ السماوات والأرض (خامساً) ما جاء عنه في الإنجيل انه كان يشفي المرضى بدون حضوره إليهم وهم على بعدٍ منه كما فعل مع غلام قائد المائة (مت ٨ : ٥ - ١٣)

وما هذا إلا لأنه يملأ بلاهوته جميع الأمكنة

﴿تأثير الايمان بحضور المسيح في كل مكان﴾

فإذا علمنا ذلك نشعر بتعزية كبرى ونعمة عظيمة لمعرفة أن المسيح قريب إلينا في كل ضعفاتنا وأدعيتنا وأنه ليملاًنا رهبة ومخافة وروحانية لنعمل الأشياء المرضية أمامه

الفصل الثامن

يسوع المسيح هو العليم بكل شيء

بما أن الكتب المقدسة قد قررت أن المسيح هو الذي كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فهو العارف بكل مصنوعاته ولا تخفى عليه منها خافية. وبما أنها قررت أيضاً أنه حاضر في كل مكان وزمان فكل شيء عريان ومكشوف لديه وليس شيء مستوراً عنه.

﴿المسيح يجهل بعض الحقائق كإنسان ويعلم كل شيء كاله﴾

وبما أن المسيح إله تام وإنسان تام فبحسب لاهوته هو عليم بكل شيء وأما بناسوته فبشر محدود. والكتاب يذكر انه كان طفلاً وصار ينمو في كلا العقل والجسم أو «في الحكمة والقامة» إلى أن صار رجلاً. فبحسب عقله البشري وفهمه الإنساني صرح أنه لا يعلم ميعاد الساعة واليوم الآخر فقال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب» (مر ١٣ : ٣٢) وأما بحسب لاهوته فهو العالم بكل شيء في الدوائر الطبيعية والأدبية والروحية والسماوية والإلهية. فكما أن الإنسان لا يسمع بعينه ولكن باذنيه ولا ينظر باذنيه ولكن بعينه هكذا الأمر في المسيح فهو لا يحيط علماً بكل شيء بناسوته ولكن يعلم بلاهوته. ولا يجهل شيئاً بلاهوته مع أنه يجهل بناسوته. وتأييداً لصحة هذه الحقيقة تأتي بالآيات التالية: -

(أولاً) قال السيد المسيح: «فتعرف جميع الكنائس أنني أنا الفاحص الكلي والقلوب وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله» (رؤ ٢ : ٢٣)

(ثانياً) قال الرسل الحواريون: «الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد لهذا نؤمن أنك من الله خرجت» (يو ١٦ : ٣٠)

(ثالثاً) قال بطرس الرسول: «يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أنني أحبك. فقال يسوع ارفع غنمي» (يو ٢١ : ١٧)

(رابعاً) قال بولس الرسول: إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب» (١ كو ٤ : ٥) وقال أيضاً: «المدخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (١ كو ٢ : ٢ و ٣)

(خامساً) قال يوحنا البشير «لكن يسوع لم يأتهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان» (يو ٢ : ٢٤ و ٢٥) وقال أيضاً «لأن يسوع علم من البدء من هم الذين يؤمنون ومن هو الذي يسلمه» (يو ٦ : ٦٤) وأيضاً: «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال من تطلبون» (يو ١٨ : ٤) (سادساً) قالت المرأة السامرية: «هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت» (يو ٤ : ٢٩)

فالمسيح بحسب هذه النصوص هو العارف بقلوب جميع الناس والعالم بغرائزهم الداخلية الخفية والكاشف أسرارهم (يو ٨ : ٧ - ٩ ومت ٩ : ٤) والوازن جميع أعمالهم والذي سيدينهم عليها وليس ذلك فقط بل هو ينبوع الحكمة ومصدر العلم والمنيئ بجميع الحوادث قبل وقوعها (مر ١٣ : ٢٣) وفوق هذا فهو العارف بكل ما في الذات العلية كقوله: «ليس أحد يعرف الابن الا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له» (مت ١١ : ٢٧)

﴿شهادة القرآن﴾

ونفس القرآن قد نسب العلم بالغيب للسيد المسيح كقوله «وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» (سورة آل عمران) فينبغي لنا إذاً أن نؤمن بالمسيح كاله عيناه تخرقان أستار الظلام وتظهر سيرتنا وسريرتنا امامه حتى ننال منه وافر المدح وجزيل الرضا

الفصل التاسع

يسوع المسيح هو الموحى

ما أجل الكتاب المقدس! فان مسحة البساطة والاخلاص والنقاوة ظاهرة فيه ظهور الشمس في رائعة النهار. فأى صفحة قلبت فيه تجد اعترافاً جلياً بلاهوت المسيح حتى في مجرى الحوادث المتنوعة وبين المواضيع الكثيرة المتباينة.

﴿المسيح ملهم الأنبياء وباعث الرسل﴾

فبينما يصرح الإسلام أن المسيح نبي يوحى إليه يصرخ الكتاب أن المسيح هو صاحب الوحي والإلهام. وان شخصاً قبل ظهوره في العالم وبعد ظهوره ورفعته إلى السماء يلهم قلوب الأنبياء والرسل والكتبة على تعددهم واختلاف أراضيهم وتفاوت أعصارهم وتنوع بلدانهم أو يعلن لهم إرادته وشريعته لكي يُبشّر بها وتكتب وتكون دستوراً للعباد لهو بلا شك إله. ونفهم أن المسيح مصدر الوحي من البراهين التالية: -

(أولاً) قول الرسول بولس: «اعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرت به انه ليس بحسب إنسان لأنني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح» (غل ١ : ١١ و ١٢) فهنا يبين مجد الإنجيل الذي بشر به باعتبار أنه ليس مسلّم له من الناس بطريق التعليم بل ممن هو أعظم من الناس يسوع المسيح بطريق الوحي

(ثانياً) قول الرسول أيضاً: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين» (اف ٤ : ١١) فإذاً المسيح هو الذي بعث الرسل والأنبياء والمعلمين والذي وشّحهم بالموهب للخدمة في تبليغ الرسالة وكتابتها

(ثالثاً) قول المسيح نفسه لرسله «فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا لأنني: «أنا أعطيتكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها أو يناقضوها» (لو

٢١ : ١٤ و ١٥) فهو إذاً الذي يقف مع تلاميذه ويعطيهم كلاماً ويلهمهم حكمة وبلاغة أثناء الكرازة والاضطهاد

(رابعاً) قوله له المجد أيضاً: «لا يعرف أحد الآب الا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له» فهو إذاً وحده الذي له معرفة الله ولا يؤهل أحد لمعرفته تعالى معرفة صحيحة إلا إذا كان المسيح يلهمه ويوحى إليه

(خامساً) قول بطرس الرسول عن أنبياء العهد القديم: «باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها» (١ بط ١ : ١١) فأنبياء العهد القديم تنبأوا لأن المسيح أعطاهم من روحه

فمن هذه الأسانيد أجمعها نعلم علم اليقين أن السيد المسيح هو ليس نبياً كالأنبياء ولا معلماً كالمعلمين بل هو صاحب الوحي ومصدر الإعلان وفي أيام جسده قيل عنه: «وتعجب الجموع لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة» (مت ٧ : ٢٩) فهو بالحقيقة «نور العالم» (يو ٨ : ١٢)

الفصل العاشر

يسوع المسيح هو القدوس

﴿وينو آدم كافة ائمة﴾

من الحقائق البديهية التي دلت عليها الكتب المنزلة والتأريخ البشرية واختباراتنا الشخصية أن بني الإنسان جميعاً أشرار بطبيعة مضللة منحرفة عن الاستقامة والصواب. ذلك سواء كانوا صغاراً أو كباراً نساءً أو رجالاً علماء أو جهلاء متدينين أو بلا دين وليس فيهم من بلغ حد الكمال واعتصم من الزلل في جميع الأحوال

فقالت التوراة: «الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو

٣ : ١٢)

وقال القرآن: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا

ونذر الظالمين فيها جثياً» (سورة مريم)

﴿براءة المسيح بشهادة الكتاب والقرآن﴾

ولكننا نقف متعجبين أمام قداسة حياة المسيح الفاتقة الخالية من كل عيب وذنس والمملوءة بكل صلاح وطيبه وحق. وندعش أمام تعاليمه الأدبية السامية التي تدل على أن مصدرها ليس إنساني أرضي بل إلهي سماوي ولكن الشيء من معدنه لا يستغرب

وهل يخلو إنسان من عيب أو انحراف شيطاني؟ أما المسيح فقال: «ان رئيس هذا العالم

(أي ابليس) يأتي وليس له فيّ شيء» (يو ١٤ : ٣٠)

وقال عنه القرآن: «وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من

الشيطان الرجيم» (سورة آل عمران)

وما سبب هذه القداسة السامية والكمال الفائق؟ أليس لأنه ليس مجرد إنسان بل إله عظيم قادته طبيعته الصالحة الغير المحدودة إلى التجسد المبارك رحمة للبشر؟ قال القرآن: «يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين» (سورة آل عمران) وهذا هو سبب نزاهته وكمال قداسته لأنه (ذات) ليس من زرع البشر بل من الله فلا عجب إذاً ان دعاه الكتاب مراراً وتكراراً بلقب القدوس الذي هو اسم الجلالة الإلهية

فقال جبرائيل الملاك لمريم العذراء: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١ : ٣٥)

وقال المسيح نفسه لجماعة اليهود أعدائه: «من منكم بيكتني على خطية؟» (يو ٨ : ٤٦)

وقال رسله الحواريون لليهود أنفسهم: «ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل» (اع ٣ : ٤)

وقالوا أيضاً في صلواتهم: «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيردوس وبيلاطس البنطي مع امم وشعوب وملوك إسرائيل» (اع ٤ : ٢٧)

وكتب بولس الرسول قائلاً: «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات» (عب ٧ : ٢٦)

وكتب أيضاً: «لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية» (عب ٤ : ١٥)

وقال بطرس الرسول: «الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه غش الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً. وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل» (١ بط ٢ : ٢٢ و ٢٣)

وقال اشعيا النبي: «وَجُعِلَ مع الأشرار قبره ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش» (اش ٥٣ : ٩)

وقال يوحنا الرسول عنه: «مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١ : ١٤)

هذا ويضيق بنا المقام عن ذكر الآيات الكثيرة والاقتباسات العديدة التي تدلنا على قداسة المسيح وكفى دليلاً على أن توراة اليهود وانجيل المسيحيين وقرآن الإسلام تلك الكتب التي يتدين بها وجوه شعوب الدنيا أجمعت على الشهادة لحق قداسته المباركة

﴿دليل من موته﴾

وهل بعد بذل نفسه للموت من أجل خطايانا ننتظر برهاناً أكثر على قداسته المتناهية وكراهته الشديدة للخطية وطاعته الكاملة لله ومحبته للبر؟: «وتعلمون ان ذلك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية» (١ يو ٣ : ٥)

الفصل الحادي عشر

يسوع المسيح هو القدير

﴿التوراة والإنجيل يشهدان بقدرته المطلقة﴾

جاء في التوراة أن المسيح «يدعى اسمه عجبياً مشيراً إليها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (اش ٩ : ٦) وجاء في الإنجيل قوله: «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤ ١ : ٨)

فهاتان الآيتان الجليلتان تدلان على أن المسيح هو الذات العلية صاحب القدرة المطلقة الغير المحدودة الأمر الذي يدفع كل ريب ويمنع كل شك في لاهوته الأقدس وسلطانه الأمجد. وكم من آية أخرى أوردناها في غير هذا الفصل تدلنا على أنه بديع السموات والأرض سبحانه فتلك مظاهر قدرته. وانه الحافظ لكيانها والممسك بزمامها وما تلك الآيات قوته. وانه الذي يببدها يوم القيامة ثم يجددها ويحيي موتاها وتلك عظام سلطته. والذي فدى وعفا وأنجى من آمن وارتضى وتلك علائم جبروته وهيبته

﴿الآيات والمعجزات﴾

ومن ينكر أو ينسى العجائب والمعجزات والآيات البيّنات التي أتاها أثناء حياته الأرضية بسلطانه الشخصي وإعطائه رسله الحواريين سلطاناً على فعل مثلها باسمه إبان حياته وبعد ارتفاعه؟ (مر ١٦ : ١٧ - ٢٠)

انه بهذا علّمنا ان قوّة الأنبياء المعجزية مكتسبة لأنهم فعلوا بالصلاة أي بسلطان ربهم وان قوّة المسيح التي صنع بها آياته غريزية لأنه أتاها بسلطانه وأمره وقوته وأجرى عناصر الطبيعة طوع إرادته وأقام الموتى بكلمته وابراً المرضى بإشارته

شهدت له آيائه في عصره فدرى الحكيم وتاه من لم يفهم

فبتلك المعجزات أوضح للملأ أنه القدير الفعال لما يريد في عالم الطبيعة وما فوقها. فقد أظهر سلطانه على البحر ومشى عليه وعلى الماء فحوّله خمراً وعلى السمك فجمع مئات منه مرة واحدة وقت الصيد. وعلى الهواء فسكّن العاصفة بكلمة. وعلى النبات فبيس شجرة التين بامر. وجعل الخمس خبزات تكفي أكثر من خمسة آلاف نفساً. وعلى الناس فشفي مرضاهم. وعلى الأرواح الخفية فاخرجها من المجانين. وعلى العالم الغير المنظور فأقام الموتى (مت ٤: ٢٣ - ٢٥ و ١١: ٤ و ٥ ولو ٤: ٣٦ و ٧: ٧ و ٨)

وان القرآن أيضاً يعترف للمسيح بهذه المعجزات فقال «وتبرئ الأكمه والأبرص باذني وتقيم الموتى باذني» (سورة المائدة).

وأما المسيح فقد أقام الدليل على قدرته ولاهوته من معجزاته هذه كما حدث مرة أن اعميين اتيا إليه فقال لهما ماذا تطلبان؟ فقالا يا سيد أن نبصر فقال لهما هل تؤمنان أنني أقدر أن أفعل ذلك فقالا نؤمن فقال لهما ابصرا. حسب ايمانكما ليكن لكما. فانفتحت اعينهما. وقبل موته قال لليهود: «لي سلطان أن أضعها (أي أضع نفسي للموت) ولي سلطان أن أخذها أيضاً (أي أقيمها من الأموات).» (يو ١٠: ١٨) ولما سأله اليهود عن آية قال لهم: «انقضوا هذا الهيكل (يشير على صلب جسده) وأنا في ثلاثة أيام أقيمه» (يو ٢: ١٨ و ١٩) بمعنى أنه بعد ثلاثة أيام من الصلب يقيم نفسه من الأموات. فكيف يقيم الميت نفسه بسلطان؟ ومن أين للميت سلطان؟ ذلك لأن اللاهوت لا يموت والموت لم يسدّ الا على الجسد فبقوة لاهوته الحي أقام جسده المائت فهو إذاً الله الذي ظهر في الجسد القادر على كل شيء.

كانت رجال الله تحيي ميتاً بصلاتها ودعائها المتقدّم
ونراه يحيى الميتين بأمره هذا الاله ومن يكذب يندم

«وأيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣٠ و٣١)

الفصل الثاني عشر

﴿يسوع المسيح هو المعبود﴾

شهادة أنبياء العهد القديم

ذلك أمر لا ريب فيه، فانبياء الأمة اليهودية في سالف الأزمان نادوا بين قومهم ونادوا في توراتهم أن المسيح القادم شخص إلهي عجيب تعبده كافة الكائنات من سماويين وأرضيين فقال سليمان في الزبور «يسجد له كل الملوك كل الأمم تتعبد له» (مزمو ر ٧٢ : ١١) وقال الزبور أيضاً: «متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١ : ٦) وقال دانيال النبي «فاعطي سلطاناً ومجداً وملكو تاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧ : ١٣)

﴿شهادة المسيح لنفسه﴾

والمسيح نفسه عند مجيئه إلى هذا العالم أعلن جهاراً أنه صاحب العزة والجلال الذي به يليق التسبيح والكرامة ويرفع إليه الدعاء وتقدم له العبادة. وانه المستحق أن نحبه وندعو باسمه وتعلق به وان نفرزه عن كافة المخلوقات وأن نبذل أنفسنا من أجله

فعن مطالبته باسداء الكرامة الالهية له من كافة الخلق قال: «لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله» (يو ٥ : ٢٣)

وعن تقديم العبادة والدعاء له ومقدرته على الإجابة قال: «ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتكم شيئاً باسمي فاني أفعله» (يو ١٤ : ١٣ و ١٤ و ١٦ : ٢٤)

وعن وجوب محبته الخالصة وطاعته المتناهية قال: «من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنه أكثر مني فلا يستحقني. ومن وجد حياته يضيعها. ومن أضع

حياته من أجلي يجدها» (مت ١٠ : ٣٧ - ٣٩) وقال أيضاً: «وكل من ترك بيتاً أو إخوة أو اخوات وأباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً من أجلي اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت ١٩ : ٢٩)

فمن من الناس نكرمه كما نكرم الآب؟ ومن من الناس كرامته أثنى من أنفسنا وكل متعلقاتنا؟ ومن هو الذي إذا خدمناه نرث الحياة الأبدية؟ والذي مهما سألناه باسمه يعطيه هو لنا؟ أليس هو المسيح؟

﴿قبول المسيح والسجود له﴾

ولم يخبر المسيح عن مجده الإلهي فقط بل قبل فعلاً كلا كل مجد وسجود قدم له. فسجد له المجوس (مت ٢ : ١٢) والرجل الأبرص (مت ٨ : ٢ و ٣) وام ابني زبدي (مت ٢٠ : ٢٠) والأعمى الذي فتح عينيه (يو ٩ : ٣٨) وتلاميذه الحواريون (مت ٢٨ : ١٧ و ١٨) وغيرهم وغيرهم ولم ينفه أحداً من هؤلاء كلهم عن فعله بل زادهم تشجيعاً وإقداماً. بينما نجد في الكتاب أن الملائكة المقربين والرسل القديسين أبوا إباءً عظيماً وأظهروا اشمئزازاً كبيراً لدى تقديم السجود لهم وأشاروا في الحال إلى أن ذلك خاص بالله القادر على كل شيء (اع ١٠ : ٢٦ رؤ ٢٢ : ٨ و ٩)

﴿الرسل ومسيحيو الجيل الأول وما بعده يقدمون العبادة للمسيح﴾

وإذا أدركنا النظر إلى ما كان من شأن المسيح بعد قيامته وصعوده إلى السماء نجد أن الرسل حسب إيمانهم في المسيح قدموا له العبادة على الدوام.

فاستفانوس الشهيد وقت احتضاره ركع وبسط يديه إلى السماء وصلى إلى الرب يسوع وطلب منه أن يقبل روحه ويغفر خطايا أعدائه (اع ٧ : ٥٩) فمن من الناس نسجد له وهو في عالم الغيب ونطلب منه أن يتسلم أرواحنا ويغفر خطايا أعدائنا؟

وبولس الرسول كان يصلي بتضرعات وابتهالات للسيد المسيح ليشفيه من مرضه وفي ذلك قال: «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني فقال لي تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح» (٢ كو ١٢: ٨ و ٩)

وقد صرح هذا الرسول أنه أوقف نفسه سواء عاش أو مات في سبيل تعظيم وتبجيل المسيح فقال: «لهذا يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أم بموت» (في ١: ٢٠) أفيكون مجرد إنسان من يصرح الوحي أن الناس تضحي بحق حتى ذواتها في سبيل تعظيمه؟ وقد كان المسيح موضوع كرازة الرسل الخاص بين جميع البلدان فعلموا المؤمنون أن يتعلقوا به ويذكروا اسمه في كل لفظة وكل فعل ويوجهوا إليه النية في كل شيء فقال بولس: «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به» (كو ٣: ١٧) وعلى هذا تأسست الكنائس وانتشرت المسيحية في كل بلد وقطر والكل يعبد السيد المسيح ويدعو باسمه من غير انقطاع فقال الرسول عن المسيحيين في الجيل الأول: «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعويين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا...» (١ كو ١: ٢) وقد مر الآن على المسيحيين عشرون جيلاً وهم الآن في القرن العشرين أكثر من خمسمائة مليون نفساً والكل معتمدون باسم المسيح ومعترفون به كالههم ومخلصهم وأنه كل رجائهم

﴿ساكنو السماء مع كل الخلائق يسبحون المسيح﴾

وقد رأى يوحنا اللاهوتي بالوحي مشهداً في السماء ما احلاه وأبهاه! مشهد جماهير الخلائق يقدمون السجود والتسبيح لله الآب وللسيد المسيح المدعو خروفاً باعتبار أنه الذبيح الذي حمل خطايانا فقال: «ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات والوف الوف قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما في

السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر وكل ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش وللخروف (أي المسيح) البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدین» (رؤ ٥: ١١-١٣)

فان أنتم يا معاشر الأخوة المسلمين الأعزاء والمسيحيين بالاسم آمنتم بالمسيح قلبياً واحببتموه وعبدتموه فقد فزتم بسعادة في الدارين والا فستسجدون له يوم الدين وأنتم صاغرون «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح لأنه مكتوب حي أنا يقول الرب أنه ستجثو لي كل ركبة وكل لسان سيحمد الله» (رو ١٤: ١٠ و١١)

الفصل الثالث عشر

يسوع المسيح هو المحيي

﴿المسيح هو ضابط الكل﴾

كلما ألقيت دلائلي في ينابيع الكتاب الصافية وجدت به برهاناً شافياً ودليلاً مشبعاً يملأ
الفؤاد ويعزز الاعتقاد في أن السيد المسيح هو إله حق لا ريب فيه.

فكما علمنا ذلكم الكتاب أنه خلق وأبدع كل الموجودات. كذلك علمنا أنه صاحب
العناية بالخليقة والحفيظ لها والمهيمن عليها وأن بيده حركة وسكون كل شيء في الكائنات.
ف قيل عنه «ان فيه يقوم الكل» (كو ١ : ١٧) وأنه «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١ :
٢ و ٣) وان حياتنا وديعة في يده «واستودعاهم إلى الرب الذي كانوا قد آمنوا به» (اع ١٤ :
٢٣) وان السفر والبقاء أو الغدو والروح باذنه «أرجو في الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً
تيموثاوس... وأثق بالرب اني أنا سأتي إليكم» (في ٢ : ١٩ و ٢٤)

﴿المسيح هو الذي يميت﴾

وكما علمنا أنه الحفيظ والضابط للخليقة كذلك علمنا أيضاً أنه بذات قدرته الغير
المتغيرة هو الذي يعيد ويرجع الخلق إلى الموت والفناء ويحفظ أرواح البشر في عالم البقاء.
كقول استفانوس «أيها الرب يسوع أقبل روحي» (اع ٧ : ٥٩) وقول المسيح لبطرس عن يوحنا:
«ان كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟» (يو ٢١ : ٢٢) فكأن عمر يوحنا ان طال أو
قصر فهو بيد المسيح الذي قال: «لي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١ : ١٨) له المجد

﴿المسيح هو الذي يحيي﴾

وكما أنه هو الذي يعيد ويميت فهو أيضاً الذي يبعث من الأموات. ويحيي البشر في يوم النشر ويجمعهم ساعة الحشر وكلنا مسيحيين ومسلمين نؤمن أن ساعة القيامة لا تجيء إلا بمجيء السيد المسيح من السماء إلى عالمنا هذا كقول القرآن عنه «وانه لعلمٌ للساعة فلا تمترنّ بها واتبعوني هذا صراط مستقيم» (سورة الزخرف). فهو إذ مات بناسوته وقام باكورة للراقدين سيأتي بمجد كثير ويضرب ببوق عظيم الصوت فيخرج الأبرار من موتهم بأجساد خالدة ممجدة إلى قيامة الحياة ويخرج الأشرار بأجساد خالدة قابلة للعذاب إلى قيامة الدينونة ومن ثم يجتمع الأحياء بعد تغيير أجسادهم مع الموتى المبعوثين من قبورهم للحكم والقضاء أمام ديان الجميع. كما قال المسيح بفمه الطاهر: «تأتي ساعة فيها يسمع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥ : ٢٨ و ٢٩) وقال أيضاً «وهذه هي مشيئة الذي أرسلني ان كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦ : ٣٩) وقال أيضاً: «أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحياً» (يو ١١ : ٢٥) وأيضاً: «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي. كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء» (يو ٥ : ٢١)

وما أحلى ما قاله بولس الرسول في هذا الصدد: «فان سيرتنا نحن هي في السموات التي منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء» (في ٣ : ٢٠ و ٢١)

﴿الرجاء بمجيء المسيح﴾

ولا يسعني هنا إلا أن أعبر عن فرحي الشخصي العظيم ورجائي الوطيد المبني على إيماني وانتظاري للقيامة السعيدة وأمجادها الأبدية المباركة وأصرح أنه لولا بريق هذا الرجاء لسكنت بين ظلمات اليأس وارتديت ثياب الحداد ولامتلأت حيرة من الحياة التي تصير لغزاً عوبصاً أمامي ولكني والحمد لله الآن تمر بي الحياة يوماً بعد يوم وأعمل فيها ما عليّ من واجب وأنا ناظر إلى قرب ظهور المسيح الذي هو مرمى أعمالتي ومنتهى آمالي. فهل لكم أيها الاخوان أن تؤمنوا بالمسيح فتجدوا به كل الرجاء والعزاء كما وجدته أنا وكما وجده ألوف ألوف

وربوات ربوات غيري؟ وان كنتم تشعرون بموت وبيوسة روحية فهلّموا إلى كلام المسيح
واسمعوا له فتحيا أنفسكم أديباً وتعطوا رجاء لحياة أجسادكم الأبدية كقوله: «تأتي ساعة وهي
الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو ٥ : ٢٥)

أجل ان شخصاً خلقنا ثم حفظنا ثم يميتنا ثم يحيينا لهو جدير بأن نؤمن به ونحبه ونحفظ
وصاياها فنفوز بسعادة السعادة.

الفصل الرابع عشر

يسوع المسيح هو الديان

﴿يوم الدين﴾

أرى يوماً عجبياً رهيباً. يوم تطوى السموات والأرض وتخلق خلقاً جديداً. يوم تجمع يد القدرة أبناء آدم جميعاً. كل الاحياء والذين تحت الثرى وبين غمرات البحر وفي ذرات الهواء ولو كانوا هباء منثوراً. يوم بعث الرمم والتنام أهل كافة الأجيال والأحقاب والأمم. يوم انتظام الملائكة صفاً صفاً. ووقوف الأبالسة فرقا فرقا. وحشر البشر رجالاً ونساء كباراً وصغاراً بيضاً وسوداً أسياداً وعبيداً. يوم اجتماع كل حي أمام عرش القضاء لينال كل منهم جزاء ما فعل ان خيراً فخييراً وان شراً فشرراً

﴿صاحب يوم الدين﴾

فترى من يكون صاحب ذلك اليوم العصيب والمالك بزمام ذلك القضاء الرهيب؟ جاء في الإنجيل: «من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي هو أيضاً يشفع فينا» (رو ٨: ٣٤) وهذا يوافق قول المسيح «الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو ٥: ٢٢) ولماذا هذا؟ لأن الابن بجسده صنع الكفارة فهو صاحب السلطان ليرحم الذين قبلوه ويهلك الذين رفضوه ولهذا قال بطرس الرسول: «وأوصانا أن نركز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للاحياء والأموات» (اع ١٠: ٤٢) وقال بولس الرسول للمؤمنين: «اياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته» (٢ تس ١: ٧-١٠).

وقال أيضاً لتلميذه تيموثاوس: «أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد ان يدين
الاحياء والأموات عند ظهوره وملكوته» (٢ تي ٤ : ١)

وقال لأهل كولوسي: «وكل ما عملتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين
انكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح وأما الظالم فسينال جزاء ما
ظلم به وليس محاباة» (كو ٣ : ٢٤ و ٢٥)

وقال في رسالته لأهل رومية: «وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدرى
بأخيك لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح» (رو ١٣ : ١٠)

أبعد هذا المقام السامي والاعتراف له بذلك المجد الإلهي يكون المسيح مجرد
إنسان؟ لأنه كيف يقدر على البعث والحكم والجزاء إلا القادر على كل شيء والحاضر في كل
مكان وزمان والعالم بجميع الأعمال الخفية والظاهرة والفاحص القلوب والنيات. والذي يفعل
الخير لوجهه ويحسب الشر ضده؟

﴿شهادة المسيح لنفسه﴾

وكيف يكون مجرد إنسان من يقول ونحن نعترف بصدقه: «ها أنا آتٍ سريعاً واجرتي
معي لاجازي كل واحد كما يكون عمله» (رؤ ٢٢ : ٢١)

وأيضاً «فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد
حسب عمله» (مت ١٦ : ٢٧)

وأيضاً «متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس
على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي
الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره... ثم يقول الملك للذين عن
يمينه تعالوا إليّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين
عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته... فيمضي هؤلاء
إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٣٥ : ٣١ - ٣٦)

فمن ثم باسم المحبة والأخوة نتضرع إليكم أيها المسلمون الأعزاء أن تتوبوا عن خطاياكم
وتعتمدوا باسم المسيح لتنالوا الخلاص والنجاة يوم الدين «فالله الآن يأمر جميع الناس في كل
مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل لأنه أقام يوماً هو فيه مزعم أن يدين المسكونة
بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع ايماناً إذ أقامه من الأموات» (اع ١٧ : ٣٠ و ٣١)

الفصل الخامس عشر

﴿يسوع المسيح هو المخلص﴾

كلما اجلنا الطرف في فصول الكتاب المقدس وأينما سرحنا النظر في ميادين مواضيعه الفسيحة نجد هنالك براهين سديدة وأدلة عديدة تقيم الحجة على لاهوت المسيح وتجعل هذا الحق أشهر من نار على علم وأسطع من شمس الظهيرة في السماء الصافية

﴿مخلص يرفع الإنسانية إلى أعلى مستوى﴾

وأي برهان أشد وضوحاً ودليل أكثر صراحة من هذا ان يكون المسيح هو المخلص الوحيد والفادي الفريد الذي يرفع العباد من دركات الاثم والهلاك والشقاء إلى مستوى البر والطهر ونعيم السماء. هيهات أن يكون ذلك عمل مخلوق من المخلوقات أو جهد كائن من الكائنات وقد قال تعالى: «أنا أنا الرب وليس غيري مخلص» (اش ٤٣ : ١٢)

﴿مخلص يعلن الكمالات الإلهية في نفسه ويقدها﴾

وغير خاف على جميع المعترفين بالله انه جل شأنه قدوس عادل ورحيم غافر. وبنو آدم جميعاً اثموا إليه فأوجبوا على أنفسهم اللعنة. فان هو تعالى أوقع عليهم النعمة طبقاً لقداسته وعدالته زالت عنهم مغفرته ونضبت ينايب رحمته. وإن هو منحهم العفو طبقاً لرحمته زالت عنهم نعمته وتهدمت أركان عدالته. فلذلك اقتضت حكمته السامية أمراً جليلاً يجمع بين صفتيه هاتين ويزيدنا نحن حمداً وثناء عليه. ذلك بأن جعل نائباً للبشر يقوم مقامهم في احتمال النعمة ويورثهم البر والرحمة. وترى من كان ذلك؟ أمجرد إنسان؟ لا لعمرى ان ذلك محال. فمن أين لفقير أن يخلص فقيراً آخر من يد مداينه؟ وأنى لجاهل أن يتوسط لحل مشكلة بين عالم وجاهل؟ وكيف يتثنى لإنسان أن يخلص إنساناً من يد اله؟ فترى من كان ذلك؟ ذلك هو أحد أقانيم اللاهوت

يسوع المسيح البار الذي تأنس لاجلنا ومات بناسوته عنا وبقيامته بررنا وفيه يتم القول (لا ينجينا من الله إلا الله). ولهذا يقول الكتاب: «ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (اع ٤: ١٢) ويختم على ذلك قائلاً «فانه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح» (١ كو ٣: ١١)

﴿أسماء المسيح في القرآن تبين انه هو المخلص﴾

وان أسماء المسيح الحسنی الواردة عنه في القرآن تدلنا على ذلك دلالة واضحة. لأنه ما معنى كلمة - المسيح - وكلمة - عيسى - وكلمة - وجيه؟ انها أسماء عظيمة مملوءة بالمعاني الرشيدة.

فالمسيح، كلمة مأخوذة عن عادة اليهود الذين اعتادوا مسح ملوكهم وكهنتهم وأنبيائهم بالادهان الطيبة وقت تنصيبهم لوظائفهم السامية. فالمسيح هو المعين كملك ليخلصنا من أعدائنا الروحيين ويقودنا في الطهارة وراءه كجيش ظافر. والمعين ككاهن ليكفر عن خطايانا بذبيحة نفسه ويستتر معاصينا بدمه. والمعين كنبى ليعلن إرادة الله من نحو جنسنا البشري وعيسى. تعادل كلمة يسوع التي معناها مخلص في اللغة العبرانية كقوله في الإنجيل: «تدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»

ووجيه، تعني الوساطة والشفاعة وعلو المقام كما قال بذلك مشاهير مفسري الإسلام وكما يقتضيه مقام الشفاعة

﴿المسيح هو الغفار﴾

وليعلم الأخ المسلم اننا لا نسمي المسيح وسيطاً وشفيعاً إلا باعتبار مهمة الفداء التي أتمها بجسده. فكما جاء في الكتاب ان الله الآب سامحنا لأجل كفارة المسيح كذلك جاء ان

المسيح سامحنا لأجل كفارة نفسه فهو الرحيم الغفار كما قال الرسول بولس: «محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً ان كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً» (كو ٣: ١٣) وقال المسيح للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك» وقال أيضاً: «لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا» (مت ٩: ٦) واستغفره استفانوس الشهيد قائلاً: «يا رب لا تقم لهم هذه الخطية» (اع ٧: ٦٠)

فعلينا إذاً قبل فوات العمر أن نقبل المسيح مخلصاً وفادياً لنحصل على السعادة والسلام والنصر والحرية من كل خطية «لأنه ان حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً» (يو ٨: ٣٦) ونحن والوف مثلنا في كل العالم قد اخترنا ثقل الخطية وصعوبتها ولم نجد انقاذاً منها إلا بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح. وكما حدث لبني إسرائيل في البرية أنهم لم يبرأوا من لدغ الحيات إلا بالنظر إلى الحية النحاسية التي علقنا على خشبة هكذا نحن لا نبرأ من خطايانا إلا بالنظر إلى المسيح الذي صلب من أجلنا. «التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأنني أنا الله وليس آخر» (اش ٤٥: ٢٢)

* * *

المقبلون إلى المسيح ليخلصوا	ترك المسيح لأجلهم عرش السما
ودعا الجميع محبةً بفدائه	فلكل من رفضوه نار جهنما
يا قوم توبوا وارجعوا عن غيركم	وخذوا المسيح لكم الهاً اعظماً